

اذن لا خطاء اذا اعطينا الشعر حكم الخمر والسحر فكل الثلاثة قاهر
اسجاي النفس قادر على تسخيرها لما يشاء. والشعر انما يكتسب هذه المزية
بحسن البيان وجودة الصناعة وسلامة الذوق وسيأتي الكلام عن القسم
الاخير في غير هذا الموضع وهذا مصداق الحديث الشريف (ان من الشعر
لحكمة وان من البيان لسحرا) وقد فطن الكثيرون من الشعراء لهذه المشابهة
فوصفوا الشعر باوصاف الخمر والسحر. قال ابو العلاء المعري يجب بعض
اصحابه على شعر بئس اليه

شعر كان امعاني السكر تسكنه فمن تحفظ بيتاً منه لم يفق
صبحني منه كاسات غنيت بها حتى المنيعة عن قيل ومعتبق
وبعد وفيه دلالة على تشجيع الشعر الجيد لسامعه كالذي سلف
جزل يشجع من وافى له اذنا فهو الدواء لداء الجبن والقلق
اذا ترنم شاد لليراع به لاقى المنايا بلا خوف ولا فرق
وزاد فتناول غير هذا المعنى اذ يقول

وان تمثل صاد للصخور به جادت عليه بمذب غير ذي رنق
وفيه تأييد لقولنا ان الشعر يغلب البخل على سجيته وقال بعضهم يصف
شعره ولعله الشريف الرضي.

أتتك تشمت لب الفتى كما مرقت نفثة الساحر

وقال في مثله ذو الوزار تين ابو بكر محمد بن احمد يصف شعر صديقه

ابي بكر الطائي

هو السحر بل اخفى من السحر رقة واسرى الى الاكباد من نطف الخمر
الا ان الفرق بين الثلاثة واضح يعرفه العقل الراجح فالسحر في ذاته
لا يبلغ مبلغ الشعر في الشرف وحسبك ما ورد فيه من النهي والتحذير وما
رمي به صاحبه من التكفير فالساحر قد يكفر وهو لا يدري ثم ان المسحور
قد يفسد حسه ويحتل ادراكه فتعمى عليه وجوه الصواب ويأتي من الامور
ما يعاب. ثم ان الخمر اذا بلغ به السكر نطق الهجر وفعل النكر ولقد تحول
الاشياء في نظره عن حقائقها فيرى حسنها قبيحاً وقبيحها حسناً مليحاً

استقي حتى تراني حسناً عند القبيح

قاله ابو نواس وانشد غيره

يحسن السكر في عيني ما صنعت حتى ارى حسناً ما ليس بالحسن
وما ظنك بقول القائل

شربنا شربة من ذات عرق باقداح الزجاج من العصير
واخرى بالروح ثم رحنا نرى العصفور اعظم من بعير
كان الديك ديك بني تميم امير المؤمنين على السرير
كان دجاجهم في الدار رقطا بنات الروم في قص الحرير
فبت ارى الكواكب دانيات ينان انامل الرجل القصير
ادافعهن بالكفين مني والتم لبة القمر المنير

فهل بعد هذا سفاه وغرور يأتيها الخمر ويتبع السحر والخمر في التحاقها

بالشعر آلات الطرب كال موسيقى وغيرها وقد شاع تأثير هذه الآلات الى حد غريب حتى عند ابناء العرب وناهيك باستعمالها عند لقاء العدو واقتحام المخاوف وانك لتجد ذلك في نفسك عند سماعها فتكون باذلاً لما منعت من قبلها مقدماً على ما تهيبت في غيبها وربما كان لهذه الآلات مزية خاصة بها فانها تؤثر على ذات شعور الانسان حتى لا يجد الماء لموئلاً وهذا ما أرسى غير تأثير الشعر فانه يبعث في المرء قوة وجسداً على احتمال الآلام وهو شاعر بها كل الشعور وذلك لتغلب الحمية عليه وهياج الحفيظة في نفسه ولتتيسر المقام يتسع للقلم فنأخذ من هذا الباب الدقيق المسالك بالابحاث الفلسفية مقيمين الشواهد العقلية والحسية على حقيقة هذه القضية على انها سافرة ساطعة وبارقة لا معة فلنأخذ في غير هذا من الابانة عن فضل الشعر والشعراء قالوا بحث زياد بولده الى معاوية فكشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً بكل ما سألته عنه ثم استنشد الشعر فقال لم ارو منه شيئاً فكتب معاوية الى زياد ما منعك ان ترويه الشعر فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر وان كان البخيل ليرويه فيسخو وان كان الجبان ليرويه فيقاتل . فلما ما كان في العصور الاولى من تأثير الشعر فيكثر عن العد ويجل ان ينتهي الى حد فانظر الى قول البحري من هذا المعنى

ومشرقة في النظم غريزتها بهاء وحسناً انها لك تنظم
ضوامن للحاجات اما شوافعاً مشفوعة او حاكيات تحكم
وانه لذلك يشفع الشعر ويحكم اذا استكمل حقه من الاجادة وما
أصدق ابا تمام اذ يقول
ولو لا سبيل سنها الشعر ما درى بغاة الندى من اين توثى المكارم

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة ويقضي بما يقضي به وهو ظالم
ومما يعجبك من شدة حفاوة العرب بالشعر واعطائهم اياه حكم الاعلاق
والنفائس والآثار الصالحة الداعية الى الفخر قول شاعرهم

فان اهلك فقد أقيت بمدي قوافي تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لوان الشعر يلبس لارتدينا
كأنه لا يسر بشيء هو تاركه سروره بتلك القوافي المحكمات ولا يرى شيئاً
ادعى الى الفخر من تلك المقاطع اللذيذات . فرحم الله ذلك المرء وبارك في
هذه الآثار الصالحات . قال بعضهم انما الشعر كاليسم فليل وكيف يكون
ذلك كذلك والميسم يذهب بذهاب الجلد ويدرس مع طول العهد والشعر
يبقى على الابناء بعد الاباء ما بقيت الارض والسماء والى هذا نحا الطائي بقوله
واني رأيت الوسم في خلق الفتى هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد
وما احسن ما قاله من هذا المعنى محمد بن حازم وقد قال له يحيى بن
أكرم ما في شعرك شيء غير انك لا تطيله فقال

ابي لي ان اصيل الشعر قصدي الى المعنى وعلمي بالصواب
فأبعثت اربعة وخمسة مشفوعة بالقاف عذاب
خوالد ما حذا ليل نهاراً وما حسن الصبي بأخي الشباب
وهن اذا وسمت بهن قوماً كأطواق الحمام في الرقاب
فذلك ما جعل للشعر المحل الأعلى عند العرب وفي اخبارهم واحاديثهم
ما يسر الاديب ويلذ اليبس . حدثوا ان بني انف الناقة كانوا شديدي الانفة
والخياء لذكر هذا الاسم حتى اذا قال قائل شيئاً عن انف الناقة الحقيقية تأذوا
او غضبوا فما هو الا ان قال الخطيئة فيهم

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوي بانف الناقة الذنبا
فكان احدهم اذا سئل عن نسبه لم يبدأ الا به وكان بنو العجلان واسمه
عبدالله يفتخرون بهذا الاسم لانه انما سمي به لتعجيله القرى فكان نفرا لهم
فما هو الا ان قال النجاشي يهجوهم من ايات تقدم ذكر بعضها
وما سمي العجلان الا لقولهم خذ القعب واحب ايها العبد واعجل
فكان الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كمي وكني عن العجلان
ومثله ان بني عبد المدان الحارثيين كانوا يفتخرون بطول اجسامهم فقال
حسان فيهم

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال واحلام المصافير
فقالوا له والله يا ابا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر اجسامنا
بعد ان كنا نفخر بها فقال لهم سأصاح منكم ما فسدت وقال فيهم
وقد كنا نقول اذا التقينا بذئ جسم يعد وذئ بيان
كالك ايها المعطي بيانا وجسا من بني عبد المدان
وما ادراك ما فعل بيت جرير ببني نمير
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
قالوا ما بقي نميري بعد هذا الا طأطأ رأسه وناهيك بقول ابي تمام
يعرض بهذا البيت

وسوف يزيدكم ضمة هجائي كما وضع الهجاء بني نمير
وجاء غير هذا كثير من الهجاء الذي وضع من اقدار سروات القبائل
من غير ماحق غير انه الشعر لا يذهب وسمه ولا يمفور سمة وانهم الشعراء
لهم ما قضيوا وما حكموا وان جاروا وظلموا فحسبك ما ذكرنا من هذه

الاحاديث واليك انا آخذون بك في سواه — قالوا وفد بنو جعفر بن كلاب
على النعمان وكان يجهلهم فرأوا منه جفوة وكان جليسه الربيع بن زياد العبسي
وكان عدواً لهم فاتهموه بالسعي عليهم عنده وكان رئيسهم ابو براء عامر بن
ملاك عم لبيد وكان لبيد غلاماً في جملةهم يتخلف في رحالهم فاخبروه فقال
اتقدرون ان تجمعوا بيني وبينه فارجزه بكلام لا يلتفت اليه بعده فقالوا نعم
فكسوه حلة وغدوا به على النعمان فوجدوه يأكل مع الربيع فقال لبيد
يا واهب الخير الجزيل من سمه نحن بنو ام البنين الاربعة
سيوف حق وجفان مترعة ونحن خير عامر بن صمصمه
ثم مضى فقبح الربيع وشنع به ابرح تشنيع فوصفه بالبرص وهو في
حل منه لينفر نفس النعمان عنه ورماه بهنة نبا القلم عن ذكرها وابى الا
كتمان امرها الى ان قال
(مهلا بيت اللعن لا تأكل معه)

فالتفت النعمان الى الربيع وقال اكدك انت ياربيع فقال لا والله لقد كذب
ابن الاحق الاثيم فقال النعمان اف لهذا طعاماً لقد خبت علي انصرف عني
ياربيع قالوا فليحق باهله وارسل الى النعمان بايات يبرئ فيها نفسه فاجابه بقوله
شرد برحالك نني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الاقاويل
قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا فما اعتذارك عن قول اذا قيل
انزل بحيث رأيت الارض واسعة وانشرها الطرف ان عرضا وان طولا
فانظر يارعاك الله الى البيت الثاني وتأمل كيف يجور الشعر اذا غدا
وهو حاكم

(ويقضي بما يقضي به وهو ظالم)

فذلك ماوجب استرضاء الشعراء ومداراتهم وصرف القوم عن معاداتهم ومباراتهم . فاحسن اليهم من لم يسالك الاحسان سبيلا . وانالهم من لم يكن لولا خوف انتقامهم منيلا . رووا ان جماعة من الشعراء مدحت جعفر بن سليمان فاطلهم بالجائزة وكان الخليل بن احمد صديقه فاستعانوه عليه فكتب اليه

لاتقبلن اشعر ثم تعقبه وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا حكموا لانفسهم على الحكم
وجناية الجاني عليهم تنقضي وعقابهم باق على الايام

قالوا فاجازهم واحسن اليهم فمن اشعراء عصرنا مثل الخليل ينجح وسائلهم ويبين فضائلهم فلا يشكو ماح اعراض ممدوح ولا يتألم لاخفاق مسعى او تعذر مطلب وخيبة مأمل . وممدوح ربيعة الرفي يزيد بن حاتم وهو يومئذ والي مصر فتشاغل عنه ببعض الامور واستبطأه ربيعة فشخص من مصر وقال اراني ولا كفران لله راجعا

فبلغ يزيداً قوله فارسل في طلبه وردده فلما دخل عليه قال له انت القائل (اراني ولا كفران البيت) قال نعم قال فهل قلت غير هذا قال لا فقال والله لترجمن بخفي حنين مملوتين مالا وامر بخفيه فثبنا ثم قال له اصلح ما فسدت فقال فيه لما عزل من مصر من ابيات اولها

(بكى اهل مصر بالدموع السواجم)

لستان ما بين اليزيد بن الندى يزيد سليم والاعز ابن حاتم
فهم الفتى القيسي انفاق ماله وهم الفتى العبسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمام اني هجوته ولكنني فضلت اهل المكارم
ومن عجيب ما رأيت من استحقاق الشعر لسامعيه ما حدث به دعبل

انه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وابو الشيص وابو نواس فتناشدوا الشعر فانشد كل واحد منهم ما استجاد من شعره الى ان قال ابو نواس

لاتبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كاساً اذا انحدرت في حلق شاربها اجده حمرتها في العين والحد
فالحر ياقوتة والكاس لؤلؤة في كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها سحراً ومن يدها خراً فما لك من سكرين من بد
لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي

فلما بلغ هذا البيت قاموا فخرجوا ساجدين فتأمل . على ان في هذا الشعر رحم الله قائله موضعاً الانتقاد ينحط به عن هذه المرتبة فان قوله (تسقيك من عينها البيت) يفيد اشتراك الندمان معه في السكرتين فلم يكن ذلك شيئاً يخص به من بينهم كما يقول وكيف ذلك بعد قوله (فمالك من سكرين من بد)

ومن عجيب ما رأيت من تسلط ملكة الشعر على النفس وعدم امكان تغلب الشاعر عليها مهما كان قوي الارادة مصمم العزيمة ان عمر بن ابي ربيعة اراد ترك الشعر حين بلغ به الكبر وحلف ان لا يقول بيتاً الا اعتق رقبة يظن ذلك يصرفه عن قوله . قالوا فانصرف يوماً الى منزله يحدث نفسه فجملت جاريته تكلمه فلا يجيبها فقالت ان لك لشأناً واراك تريد ان تقول شعراً فقال رحمه الله

تقول وليدتي لما رأيتي طربت وكنت قد اقصرت حينما
اراك اليوم قد احدثت امراً وهاج لك الهوى داء دفيننا
وكنت زعمت انك ذو عزاء اذا ما شئت فارقت القرينا
اجدك هل رأيت لها سمياً فشاقتك ام لقيت لها خدينا

فقلت شكى اليّ اخ محب كبعض زماننا اذ تعلمنا
 فقص عليّ ما يلقي بهند فذكر بعض ما كنا نسينا
 وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقي العاشقينا
 فكم من خلة اعرضت عنها لغير قلى وكنت بها ضنينا
 صرفت النفس عنها فاطمأنت وان جن الفؤاد بها جنونا
 ثم دعا تسعة من رقيقه فاعتقهم ويروى البيت الاخير (اردت بمادها
 فصددت عنها) والاجود ما تقدم فلا يؤخذنا ابن ابي ربيعة والافقداضاع
 واحداً من رقيقه هدرأ على انه الراجح وان اعتق في هذا البيت عشرة
 وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقي العاشقينا
 ستأتي البقية (احمد محرم)



عصيان جديد

من المرأة

لما تزوجت جلالة الملكة ولهمينا ملكة هولاندا حذف لها ذكر الطاعة
 لرجلها من بين الاقوال التي تاتي على العروسين ساعة الزفاف وذلك بدعوى
 انها ملكة وان زوجها ليس بذي تاج وانه دونها مقاماً من حيث الصفة
 السياسية ولذلك لا يصح ان تتعهد له بالطاعة بل انه معدود من جملة رعاياها
 وهو المزم بهذه الطاعة لها. ولكن لما تزوجت قبلها المرحومة ملكة انكلترا

عرض عليها ان يحذف ذلك الكلام فلم ترض وقالت اني تزوج زواج
 امرأة وليس زواج ملكة اي انها تفضل ان تجري على موجب مارسم الدين
 والعادة القديمة من ان تجري على موجب الصيغ السياسية والبدع الجديدة.
 اما بنات هذا العصر وهن ملكات الحرية ان لم يكن ملكات الشعوب
 فقد صرن من رأي «زميلتهن» الملكة ولهمينا واصبحن يردن الجري على
 طريقتهن وذلك لما شعرن به الان من المذلة عند ذكر هذه الطاعة لزوجهن
 والتقيد بها ولما يجدنه من عدم ملاءمتها للزمان الحاضر وشرائعه وهن يقنن
 ان المرأة اذا كانت في القديم معدودة عبدة للرجل او محسوبة كبهيمة من
 بهائمها وكان يصح ان يأمرها بكل شيء ويجب ان تطيعه فانها الان قد صارت
 على خلاف ذلك كثيراً حتى لقد صارت وياه سيين لافرق بينهما في شيء على
 الاطلاق من جهة الحقوق جميعها ولذلك لا يصح لها ان تلزم بطاعته الزاماً
 شريعياً دينياً وان لا يكون هو ملزماً مثلها ذلك الالزام

وعدا هذا فهن يقنن ان المرأة حين تؤمر بالطاعة لزوجها ساعة الزفاف
 وتتعهد بذلك تعهداً فانما تعد وعد من يقول شيئاً ولا يعيه اي انها تعد في
 تلك الساعة ثم لا تفي بما وعدت فيما بعد بحيث يكون وعدها لغواً لا معنى
 له واصبح من الواجب على رجال الدين ان يحذفوا تلك العبارة من الاقوال
 التي يلقونها على العروسين لانهم يورطون المرأة فيها بالكذب اذ انها لا تجري
 عليها والكذب مما لا يجب ان يعان عليه ولا سيما من رجال الدين الناهين عنه
 والمبدين لاسبابه

ولقد نشرت احدى النساء الانكليزيات فصلاً في هذا الموضوع قالت
 فيه ان كثيرات من البنات اللواتي لا تطاوعهن ضمائرهن على الكذب ولا